# النص وتفسير النص

من القواعد المهمة في التفكير السّديد، التي إذا اتضحت في الأذهان قللتِ من الاختلاف، وقاربت بين القلوب: التفريقُ بين النص وتفسير النص، ونحصر حديثنا في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

لا شك أن نصّ القرآن الكريم مقدّس؛ لأنه كلام الله سبحانه وتعالى، وهو منقول إلينا بالتواتر، فهو قطعي الثبوت، ويتلوه في الاحترام الأحاديث الصحيحة؛ لأنها كلام الرسول المعصوم ﷺ. لكنّ بعض الناس يُعطون فهمَهُم للنص، أو فهمَ العالمِ الذي يحبونه، والإمامِ الذي يتبِّعونه مرتبة تساوي النص أو تقتربُ منه، ويَعدُّون من خالف فهمَهم مخالفاً للنص! ولا يخفى ما في هذا الأمر من البعد عن الحق والصواب، ولهذا السبب ضلّل أقوامٌ أقواماً، وفسّق أناس أناساً!

إن أكثر نصوص الكتاب والسنة ظنّية الدلالة؛ أي: تحتمل أكثر من معنى واحد، والبشر متفاوتون في: عقولهم، وعلومهم، وقوة فهمهم واستنباطهم؛ لذلك كان الاختلاف

بينهم في فهم تلك النصوص أمراً طبيعياً. ولو كانت النصوص لا تحتمل إلا معنى واحداً، أو كانت العقولُ والأفهام متطابقةً لتوحدتِ الآراء، واتفقتْ وجهات النظر. وشتان بين من يقول: إن هذه الآية أو هذا الحديثَ خطأ (والعياذ بالله)، وبين من يقول: إن فهم فلانٍ لهذه الآية أو ذاك الحديثِ خطأ، وأنا أرى رأياً آخر، أو أرجّح فهماً آخر.

ولنوضح ما ذكرنا بمثالين:

١ ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ**﴾، يتربّصن، يعني: ينتظرن، والخبر هنا معناه الأمر، أي: يجب على المطلّقة أن تنتظر ثلاثة قروء، وهي مدة عِدّتها، قبل أن تَبِيْن. لكنْ ما المراد بالقُرءِ وهو في اللغة يعني الحيضَ ويعني الطهر؟ اختلف الفقهاء في ذلك، فقالت طائفة: المراد الحيض، ومنهم: عمر، وعلي، وابن مسعود رضي الله عنهم، وسفيان الثوري، وأبو حنيفة، وأحمد بن حنبل رحمهم الله، وقالت طائفة أخرى: المرادُ الأطهار، ومنهم عبدالله بن عمر، وزيد بن ثابت، وعائشة رضي الله عنهم، ومالك والشافعي رحمهما الله. وبهذا الاختلاف يكون أمثالنا في سعة.

٢ ـ ومن أمثلة الاختلاف في فهم النصوص قوله ﷺ: «**ذكاة الجنين ذكاة أمّه**» إذ تقرأ الكلمة بالرفع والنصب: ذكاةُ أمه، وذكاةَ أمه.

هذه رواية الترمذي. وفي رواية أبي داود، قال: «قلنا: يا رسول الله، ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة، فنجد في بطنها الجنين، أنلقيه أم نأكُلُه؟ قال: **كلوه إن شئتم، فإن ذكاتَه ذكاة أمه**». والذكاةُ - كما قال ابن الأثير رحمه الله في جامع الأصول -: الذبحُ والنحر، فالذبح في الحلق، والنحرُ في اللَّبة، وهي كالثُّغرة للإنسان. فمن أخذ برواية الرفع، أي: «ذكاةُ الجنين ذكاةُ أمّه» جعلها خبراً للمبتدأ، فتكون ذكاة الأم ذكاةً للجنين، ولا يحتاج الجنين إلى ذبح، ومن اختار رواية النصب كان المعنى عنده: ذكوا الجنين ذكاةَ أمه». قال العلامة اللغوي المحدث محمد طاهر الصديقي الهندي الفتني المتوفى عام ٩٨٦هـ رحمه الله، في كتابه القيم: مجمعُ بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار (وأنصح كل طالب علم شرعي أو لغوي باقتنائه) قال: «ويروى.. بالنصب بتقدير: ذكاة الجنين كذكاة أمه، فنُصب بعد نزع خافضه (يعني الكافَ، حرفَ الجر)، أو بتقدير: يُذكَّى تذكيةً مثلَ ذكاة أمه،

فلا بدّ عنده من ذبح الجنين إذا خرج حياً. ويُروى بنصبهما: (ذكاةَ الجنين ذكاةَ أمه)، ذكوا الجنين ذكاةَ أمه».

أيها القارئ الكريم: قد نجد بعض الصعوبة في متابعة هذا الكلام، مع أنه من أيسر الكلام فهماً على طلاب العلم الشرعي، وذلك لعدم تعودنا عليه. والذي رميتُ إليه من ذكر هذين المثالين، وأشباههما تُعد بالألوف المؤلفة، أن جلّ النصوص يحتمل أكثر من وجه واحد من وجوه التأويل، وأنَّ النصَّ شيءٌ، وفهمَ النصِ شيءٌ آخر، فيجب أن لا نخلط بينهما، ويجب أن لا نجعلَ الاختلاف في الفهم سبباً لاختلاف القلوب، أو للتعصب لما نراه صواباً، بل نرى في الاختلاف سعة، ونجعله مَصدراً لإخصاب العقول بالآراء المختلفة، ورؤية الأمور من زوايا متعددة. والله تعالى أعلم.

openkandi.com

# أحاديث نبوية تحث على المحبة

إذا كانت بعض أحكام الإسلام لا يُنكر تغيّرها بتغيّر الزمان والمكان؛ لأن المصلحة كامنة في هذا التغيير، فإن من أحكام الإسلام ما لا يتغيّر باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، ونتحدث في هذه المقالة عن حكم منها أساسي في العلاقات الاجتماعية بين المسلمين، وهو محبة المسلم للمسلم. بل إن هذا الحكم يزداد أهمية وركنية في زمن الفتن والحروب والأخطار التي تتهدد المسلمين من داخلهم أو خارجهم. وما أفلح إبليس وجنوده من شياطين الإنس والجن في شيء فلاحَهم في تشويه هذا المعنى في نفوس كثير من المسلمين: أفراداً، وجماعاتٍ، وشعوباً، وأعراقاً، حتى صار واقعُهم الكالح الكئيب مُدمياً لقلوب الأصدقاء المخلصين مفرحاً لقلوب الأعداء الشانئين.

وقد تحدثنا في مقالة ماضية عن جانب من هذا المعنى، ونخصص هذه المقالة لاستعراض بعض التوجيهات النبوية الشريفة في هذا الموضوع، لنرى الاهتمام العظيم، والتوكيد المدهش على أمر المحبة، وما ذاك إلا لأنها من أهم الأركان التي يقوم عليها بناء المجتمع الإسلامي.

أخرج الأئمة مسلمٌ، وأبو داود، والترمذي رحمهم الله عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**والذي نفسي بيده، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**». فبيّن عليه الصلاة والسلام أن دخول الجنة مرهون بالإيمان، وأن كمال الإيمان متوقف على التحابب، فما أعظم هذا!

وفي سُنن أبي داود، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً كان عند النبي ﷺ، فمرّ رجل، فقال: يا رسول الله، إني لأُحبّ هذا، فقال له عليه الصلاة والسلام: «**أَعلَمْتَهُ**»؟ قال: لا، قال: «**فأعلِمْه**»! فلحقه فقال: إني أحبك في الله، قال: أحبّك الله الذي أحببتني له».

أيها القارئ الكريم: إذا تأملنا في ثواب المحبة لله، وهي المحبة التي يكون أساسها الدين، تقوم بقيامه، وتزول بزواله، ولا بأس بعد ذلك أن تصاحبها عوامل أخرى: كمحبتك شخصاً لعلمه، أو لفضله، أو لاتفاقك معه في هواية ما، أو لتعارفِ روحيكما وانسجام مزاجيكما - إذا تأملنا في ثواب هذه المحبة، ورأينا عظمتها، أدركنا أهمية هذه المحبة.

والأحاديث التي سأذكرها أكثرها معروفة لأكثرنا، ولكن هذا لا يمنع من تكرارها للتأمل فيها، واستحضار معانيها، لتزداد رسوخاً في القلب، ومن ثمّ تظهر آثارها في المجتمع.

روى الإمامان مالكٌ ومسلم رحمهما الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى يومَ القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلّي يوم لا ظل إلا ظلّي**»!!

قال الشيخ محمد عوامة في كتابه: «من صحاح الأحاديث القدسية» ما معناه: إذا أراد الله تعالى إظهار فضيلة هذه الطائفة من عباده، وهم الذي تحابوا من أجله، ناداهم نداء تكريم وتعظيم، ليُنجيهم من أهوال ذلك اليوم العصيب، فيكونوا آمنين مستريحين في ظلٍّ وارف كريم. وإعلام الله سبحانه لنا بهذا فيه حضّ ضمني لنا أن نتخلق بهذا الخلُق، وإلا فما الفائدة؟

وروى الإمام الترمذي رحمه الله حديثاً قدسياً آخر عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عزّ وجلّ: **المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغبطهم النبيّون والشهداء**». وهذا لونٌ آخرُ من إكرام الله عز وجلّ

للمتحابين فيه، يجعلهم على أماكن مرتفعة، هي المنابر، وهذه المنابر من نورِ يومِ القيامة الذي لا يعلم ماهيّته إلا الله سبحانه، فهو ليس كنور الدنيا. ومن عِظَم مكانةِ هؤلاء الصفوة أن أكرمَ عبادِ الله: الأنبياء ثم الشهداء يغبطونهم على ما هم فيه، ويتمنون أن يكونوا مثلهم. فإن قيل: كيف يتمنى الأنبياء مقامهم وهم أفضل منهم؟ فيمكن أن يقال: كل ما يتحلى به الإنسان ويتعاطاه من علم وعمل فإن له عند الله تعالى منزلةً لا يشاركه فيها من لم يتصف بها، وإن كان له من نوعٍ آخر ما هو أرفع قدراً، وأعزّ ذخراً، فيغبِطه بأن يتمنّى ويحبّ أن يكون مثلُ ذلك مضموماً إلى ماله من المراتب الرفيعة الشريفة».

وحديث قدسي آخر رواه الإمام مالكٌ رحمه الله في الموطأ. يقول الله تبارك وتعالى: «**وجبتْ محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ**». ووجبتِ، يعني: حقّتِ وثبتت. والمتجالسون والمتزاورون همُ الذين يجلس بعضُهم إلى بعض، ويزور بعضُهم بعضاً. والمتباذلون همُ الذين يبذُلون لإخوانهم في الله ما لديهم من غالٍ ورخيص. قال الإمام الغزالي رحمه الله في الإحياء: «إن

حبَّ الله سبحانه إذا قوي أثمر حُبَّ كلٍّ من يقوم بحق عبادة الله في علم أو عمل، وأثمر حبّ كلّ من فيه صفة مرضيّة عند الله؛ من خلق حسَن، أو تأدّبٍ بآداب الشرع، وما من محب للآخرة، أو محب لله إلا إذا أخبر عن حال رجلين: أحدُهما عالم عابد، والآخر جاهل فاسق، إلا وجد في نفسه ميلاً إلى العالم العابد، فذلك الميل هو حبّ في الله ولله من غير حظّ».

روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه في كتاب البرِّ والصلة والآداب، في باب فضل الحب في الله عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ: «**أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله على مَدْرجته ملكاً** (والمدرجة: هي الطريق، لأن الناس يدرجون عليها ويمشون، وأرصد الملكَ، أي: أمره أن يقعد على الطريق يحفظه ويترقبُ وصولَه). **فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال (الملك): هل لك عليه من نِعمةٍ ترُبُّها؟** (أي: هل لك عنده مصلحةٌ دنيوية جئت تطلبها وتستوفيها) **قال (الرجل): لا، غير أني أحببتُه في الله عزّ وجلّ. قال (الملك): فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبّك كما أحببته فيه**».

وروى الأئمة أحمد وابن حبان، والحاكم، وأبو يعلى بألفاظ مختلفة، ما رواه أبو داودَ رحمه الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال، قال رسول الله ﷺ: «**إنّ من عبادِ الله لأُناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبِطهمُ الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله. قالوا: يا رسول الله، تُخبرنا من هم؟ قال: هم قومٌ تحابُّوا بِرُوح الله على غير أرحامٍ بينهم، ولا أموالٍ يتعاطَونها، فو الله إن وجوهَهُم النورُ، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس**، وقرأ هذه الآية: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾».

فهؤلاء قومٌ تحابوا بروح الله، أي: محبةً خالصة لله تعالى، ليس بينهم قرابةُ رحم، ولا مصلحةٌ مادية، فنالوا هذا الأجر العظيم، وبلغوا منزلةً تنقطع الأعناق دون الوصول إليها، وأَمِنوا واستراحوا يوم الهول الأعظم، والحزنِ الأكبر، والشرِّ المستطير.

قال الإمام الحافظ إسماعيل بنُ كثير رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى في سورة يونسَ عليه السلام: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ ﴿**لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾

فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما وراءهم في الدنيا. ثم ذكر الحديث الشريف الذي أخرجه الإمام أحمد رحمه الله عن أبي مالكٍ الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي من أفناء الناس ونوازعِ القبائل قومٌ لم تتصل بينهم أرحام متقاربة، تحابُوا في الله، وتصافَوا في الله، يضع الله لهم يوم القيامة منابرَ من نور، فيجلسُهم عليها، يفزع الناس ولا يفزعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليه ولا هم يحزنون**».

أيها القارئ الكريم:

حريٌّ بالمسلم والمسلمة أن يعتنيا حقَّ العناية بهذا المعنى الذي أحسبه قد غاب - أو كاد - من واقع المسلمين، وكادت تقضي عليه - إلا عند صفوة قليلة - نوازعُ قبلية، أو اجتماعية، أو إقليمية، أو مالية، أو شخصية.

ولو سادت المحبة في الله بين المسلمين في هذه الظروف العصيبة التي تمرّ بهم، والقوارعِ التي تنزل بهم، لتغيّر الكثيرُ من أحوالهم إلى الأحسن. ولو عرفوا آداب الاختلافِ وفقهَه، وسبلَ الائتلاف وطرائقه لما كان منهم ما نراه كلَّ يوم مما تدمى له قلوب المخلصين. أنا لا أقول: إن هذا العاملَ وحده

كفيلٌ بأن يعيد المسلمين إلى رشدهم ومجدهم، لكنه ركن ركين وأسّ متين من لوازم العودة المرجوة.

ومما له صلةٌ وثقى بهذا المعنى الأحاديثُ الشريفة التي وردت تحت عنوان: من أحبّ قوماً كان معهم. ومنها ما رواه الإمامان الجليلان البخاري ومسلمٌ رحمهما الله وغيرهما، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه، «أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: **وما أعددت لها؟** قال: لا شيء، إلا أني أحبّ الله ورسوله. فقال عليه الصلاة والسلام: **أنت مع من أحببت**».

قال أنسٌ رضي الله عنه راوي الحديث: فما فرحنا بشيء فَرَحَنا بقول النبي عليه الصلاة والسلام: أنت مع من أحببت.

قال أنس: فأنا أحبّ النبي ﷺ وأبا بكرٍ وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل أعمالهم.

وفي رواية أخرى قال: «بينما أنا ورسول الله ﷺ خارجان من المسجد، فلقينا رجلٌ عند سُدّةِ المسجد (أي: عند بابه)، فقال: يا رسول الله: متى الساعة؟ قال: **ما أعددتَ لها؟** فكأن الرجل استكان (أي خجِلَ من نفسه واستحيا، وذَلّ؛ من

الاستكانة، وهي: الذل والخضوع)، فقال: يا رسول الله، ما أعددت لها كثير صيامٍ، ولا صلاةٍ، ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: **أنت مع من أحببت**».

وعند أبي داود: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته...**» وفي صحيح مسلم وغيره: «**من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.. ومَنْ بطَّأَ به عَملُه لم يُسرع به نسَبهُ**».

نسأل الله سبحانه أن يرزقنا حبَّه، وحبّ نبيّه ﷺ، وحبَّ الصالحين من عباده، وأن يمحوَ الحزازاتِ والضغائنَ من قلوب المسلمين، ويجعلَها أنقى من ماء السماء، وأن يجمع كلمتهم، ويوحّد صفوفهم، وأن يرزقهم الأخذ بأسباب العزة والنصر، فقد طال عليهم أمد الضعف والذل والتناحر والتخاذل، وكثر النهش والبطش والفتك بهم، فمتى تَقَرُّ بذلك العيون، وتنشرح الصدور؟ ﴿**قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا**﴾.

obeikandl.com

# رفع الملام عن الأئمة الأعلام

إذا كان الائتلاف بين المسلمين واجباً محتّماً عليهم في أوقات السّلم والسرّاء، فهو في أوقات المحن والفتن والبلاء أشدّ وجوباً، وأكثر حتمية. وإن ما نراه ونسمعه اليوم من الظلم والقتل، والتشويه والتنكيل، والتيتيم والترميل، والإحراق والتدمير، هو ثمار مرة لبذور خبيثة شاركنا في زراعتها، وتعهدنا أشجارها بالرعاية والسقاية حتى صار طلعها كأنه رؤوس الشياطين!!

وقد قيّض الله لهذه الأمة على مرّ عصورها رجالاً حملوا الرايات؛ فمنهم من كان مجاهداً، ومنهم من كان مربياً، ومنهم من كان عالماً، ومنهم من أخذ من كل طرف بحظ وافر، وأحسَب أن ابن تيمية رحمه الله، كان واحداً من أولئك الأفذاذ الذين فتح الله على قلوبهم، ونورها بنور القرآن والسنة، فكان منه ما كان من العلم والجهاد والتربية وما سواها.

ويناسب ظروفَنا التي نحن فيها، وهي محنٌ وفتن تحتّم علينا أن نلتقي ونتآلف بالعقول والقلوب، والأقوال والأعمال، والأرواح والأبدان، كما يناسب موضوع هذه الصفحات،

o p e i k a n d i . c o m

أن نتحدث عن كتيِّب صغير الحجم كثير العلم، كبير الفائدة لهذا الإمام الحافظ المجاهد أحمدَ بنِ تيمية رحمه الله عنوانه: (رفع الملام عن الأئمة الأعلام)، نقتطف منه بعض ما جاء فيه مما يناسب المقام، ونسمح لأنفسنا بالتصرف بالعبارة تصرفاً توضيحياً؛ لأن أسلوب الكتاب أسلوب علمي شرعي قد يجد فيه غير المختصّين شيئاً من الصعوبة والعسر.

مَنْ هم الأئمة الأعلام؟ إنهم الأئمة الأربعةُ المشهورون عندنا، ومن شاكلهم، أو قاربهم، أو فاقهم... إنهم أمثالُ أبي حنيفةَ، ومالكٍ، والشافعيِّ، وأحمدَ، وجعفرَ الصادق، وزيد بن عليّ، والأوزاعي، والليث ابن سعد، والطبريِّ، والبخاريِّ، ومسلمٍ، والعزِّ بن عبدالسلام، وابن حجر، والنووي رحمهم الله، ومئات آخرون.

هدف الرسالة - إذن - رفعُ المَلام عن هؤلاءِ الأعلام في أخطائهم، أو مخالفاتهم، أو اجتهاداتهم.

يقول رحمه الله: يجب أن نعلم أنه ليس أحد من الأئمة - المقبولينَ عند الأمة قبولاً عاماً - يتعمّد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سُنته، دقيقٍ ولا جليل. فإنهم

متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباعه، وعلى أن كل واحد من الناس - كائناً مَن كان - يؤخذ من قوله ويُترك، إلا هو عليه الصلاة والسلام. وإذا وُجد لواحدٍ من هؤلاء الأئمة قول جاء حديث صحيح بخلافه فلا بدّ له من سبب في تركه.

ويذكر - رحمه الله - عشرة أسباب في أربعين صفحة نختار منها أولها، وهو: أن يكون الحديث الشريف لم يبلغ ذلك الإمام. وهذا السبب هو الغالب على أكثرِ ما يوجد من أقوال السّلف مخالفاً لبعض الأحاديث؛ فإن الإحاطة بحديث رسول الله ﷺ لم تكن لأحد من الأمة. وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يحدّث، أو يفتي، أو يقضي، أو يفعل الشيء فيسمعه أو يراه من يكون حاضراً، ويبلّغُه أولئك - أو بعضهم - لمن يبلّغونه، فينتهي علم ذلك إلى من شاء الله تعالى من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. ثم في مجلس آخر قد يحدّث عليه الصلاة والسلام، أو يفتي، أو يقضي، أو يفعل شيئاً، ويشهده بعض من كان غائباً عن ذلك المجلس، ويبلّغونه لمن أمكنهم؛ فيكون عند هؤلاء من العلم ما ليس عند هؤلاء، وعند هؤلاء ما ليس عند هؤلاء.

وإنما يتفاضل العلماء من الصحابة ومن بعدهم بكثرة العلم أو جودته، وأما إحاطة شخص واحد بجميع حديث رسول الله ﷺ فهذا لا يمكن ادعاؤه.

قد يقول قائل: إننا في عصر الحاسب الآلي نستطيع أن نجمع الغالبية العظمى من الأحاديث ونطّلع عليها بلمسة زر في وقت قصير. أقول: هذا صحيح، وهذه مزيّة غالية وفائدة عالية، ولكنّ الحاسب معتمدٌ على من أدخل البيانات فيه، وهذه الأحاديث لها رجال رووها، وحال هؤلاء الرجال علمٌ متلاطم الأمواج تختلف فيه الآراء اختلافَها فيما سواه لا يملك الحاسب، ولا محاسب الحاسب أمامها شيئاً.

لا شك أن اطلاع العالم أو طالبِ العلم اليومَ أيسرُ وأسهل، وهذا التيسير له فوائد لا تنكر، إلا أنه ليس كلَّ شيء، إذ الاطلاع شيء، والعلم، والذكاء، والفهمُ، والقدرة على الاستنباط، والتنزه عن الهوى، والإخلاصُ لله تعالى شيء آخر، وكل هذه العواملِ وسواها لها أثر مباشر في الفقه والفتوى وما إليهما.

إن مقولة: هُمْ رجالٌ ونحن رجال صحيحةٌ من وجه (الذكورة) دائماً، ولا تصحّ – في كثير من الأحيان – من حيثُ

الرجـولةُ الحقُ والإمـامـةُ في العلم، والفقـهُ في الدين. فنحن ذكور مثلُهم. ولكنّ ما أقلَّ أمثالَهم فيما عدا ذلك!!

**أمـا الخيـام فـإنها كـخيـامـهـم**

**وأرى نسـاءَ الحيِّ غـيـرَ نسـائهم!!**

ومع ذلك ففي الأمة المسلمة - إن شاء الله - خير كثير.

أيها القارئ الكريم: هذه إهابةٌ من قلب يُحرّقه الحزن على واقع المسلمين، إهابةٌ بكل مسلم ومسلمة أن يُحبَّ بعضنا بعضاً، ويعفوَ بعضُنا عن بعض، وأن نقبل الأعذار، بل نلتمسها لكلّ من يخالفنا. وكيفَ نقطع - في غير ما هو بدهي أو معلوم من الدين بالضرورة - أننا على صواب، وأنّ رأينا هو الحق، ونحن غير معصومين، بل خطّاؤون خطّاؤون؟!

اللهم ألف بين قلوبنا، ووحد صفوفنا، وحقق لنا وبنا نصر دينك، وإعزازَ كلمتك إنك أكرم مسؤول وأرجى مأمول.

obeikandi.com

# رسالة الأُلفة بين المسلمين

نتحدث في هذا المقال - مرة أخرى - عن رسالة للإمام ابن تيمية رحمه الله صغيرة الحجم غزيرة النفع طبعت قديماً بعنوان: «خلاف الأمة في العبادات...» وأعيد طبعها تحت عنوان: « خلافُ الأمة في صفات العبادات لا يقتضي الشقاقَ والنزاعَ، ولا يورث الريبةَ في أحكام الشريعة في كتاب بعنوان: «رسالة الأُلفة بين المسلمين...»».

قال رحمه الله وغفر له: قاعدةٌ في صفات العبادات الظاهرة التي حصل فيها تنازع بين الأمة في الرواية والرأي؛ مثلِ الأذان، والجهر بالسملة، والقنوت في الفجر، والتسليم في الصلاة، ورفع الأيدي فيها، ووضع الأكف فوق الأكف، ومثل: التمتع، والإفراد، والقِران في الحج، ونحو ذلك؛ فإن التنازع في هذه العبادات الظاهرةِ والشعائر أوجبَ أنواعاً من الفساد الذي يكرهه الله ورسوله وعباده المؤمنون!!

ثم ذكر عدداً من أنواع الفساد الناشئ من الاختلاف والتنازع، ثانيها: ظلمُ كثير من الأمة، أو أكثرهم بعضَهم لبعض، وبغيُهم عليهم، تارةً بنهيهم عما لم ينه الله عنه،

وبُغضِهم على ما لم يبغضهُمُ الله عليه، وتارةً بترك ما أوجب الله من حقوقهم وصلتهم لعدم موافقتهم لهم على الوجه الذي يؤثرونه...

وثالث هذه المفاسد. اتباع الظن وما تهوى الأنفس، حتى يصير كثير منهم مَدِيناً باتباع الأهواء في هذه الأمور المشروعة، وحتى يصير في كثير من المتفقهة والمتعبدة من الأهواء من جنس ما في أهل الأهواء الخارجين عن أهل السنة والجماعة!!!

ثم قال: وباب الفساد الذي وقع في هذه الأمة، بل وفي غيرها، هو التفرق والاختلاف؛ فإنه وقع بين أمرائها، وعلمائها، وملوكها، ومشايخها، وغيرهم من ذلك ما الله به عليم، وإن كان بعض ذلك مغفوراً لصاحبه لاجتهاده الذي يُغفَر فيه خطؤه، أو لحسناته الماحية، أو توبته، أو لغير ذلك.

أيها القارئ الكريم:

ثم يذكر شيخ الإسلام رحمه الله بعض الأمثلة على أن عامة الاختلافات في صفات العبادات إنما هي في الاستحباب والكراهة دون الوجوب والتحريم فيقول: ... فإن

obeikandi.com

الرجل إذا حجّ متمتعاً أو مفرِداً أو قارناً كان حجُّه مجزئاً عند عـامـة المسلمين.. وكـذلك الأذان رجَّع فـيـه أو لم يرجع (والترجيع في الأذان: أن يكرر المؤذن الشهادتين جهراً بعد أن يقولهما مخافتة) فهو أذان صحيح عند جميع سلف الأمة وعامة خَلَفها، وسواء ربّع التكبير في الأذان أو ثناه (أي قال: الله أكبر مرة مرة دون وصل مع الثانية). وكذلك الإقامة يصح فيها الإفراد والتثنية (أي: إفراد وتثنية: حي على الصلاة، حي على الفلاح)، وكذلك الجهر بالبسملة والمخافتة، وكما ثبت في صحيح مسلم عن سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه أنه كان يجهر بدعاء الاستفتاح: «سبحانك اللهم وبحمدك..» وفعل هذا بين المهاجرين والأنصار مع أن السنة الراتبة فيه المخافتة. وكان من الصحابة من يجهر بالاستعاذة، ومنهم من يجهر بالبسملة، وكذلك القنوت في الفجر، والقنوت في الوتر هل هو في جميع السنة أو في النصف الثاني من شهر رمضان فقط، والتسليمةُ الثانية هل هي مشروعة في صلاة الجنازة أم ليست مشروعة؟ هو نزاع في الاستحباب، وكذلك تكبيرات العيد الزوائد، وكذلك أنواع التشهدات، كلُّها جائز، وأنواع الاستفتاح في الصلاة، وأصل الاستفتاح... إلى أن يقول: ويكون ذلك بمنزلة القراءات في

القرآن، فإن جميعها جائز، وإن كان من الناس من يختار بعض القراءات على بعض. ولا يجوز التفرّق بذلك بين الأمة، ولا أن يُعطى المستحبّ فوق حقّه، ولا يجوز أن تجعل المستحبات بمنزل الواجبات.. بل قد يكون تركُ المستحبات لمُعارِضٍ راجح أفضلَ من فعلها، بل الواجباتُ كذلك، (أي ترك الواجبات لمعارض راجح ومصلحة).

ويورد المعنى نفسَه في «الفتاوى الكبرى» عن حديثه عن القراءة في صلاة الجنازة، وأنا أنقل قوله ليكون أنموذجاً لنا نطبّقه في كثير من المسائل، حتى نجتنب الخلاف في الرأي الذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى المجادلة وتنافر القلوب.

قال رحمه الله: «أعدل الأقوال في القراءة في صلاة الجنازة أنها مستحبة ليست واجبة، فإن السلف فعلوا هذا وهذا، .. كانوا يصلون على الجنازة بقراءة وغير قراءة، كما كانوا يصلّون تارة بالجهر بالبسملة، وتارة بغير جهر بها، وتارة باستفتاح وتارة بغير استفتاح، وتارة برفع اليدين في المواطن الثلاثة، وتارة بغير رفع اليدين، وتارة يسلّمون تسليمتين وتارة تسليمة واحدة، وتارة يقرؤون خلف الإمام بالسرّ وتارة لا يقرؤون، وتارة يكبرون على الجنازة أربعاً، وتارة خمساً وتارة

سبعاً ... فهذه الأمور، وإن كان أحدها أرجحَ من الآخر فمن فعل المرجوح فقد فعل جائزاً، وقد يكون فعلُ المرجوح أرجحَ للمصلحة الراجحة، كما يكون تركُ الراجح أحياناً أرجح لمصلحة راجحة».

إن من أهمّ النقاط التي يجب أن تكون واضحة في أذهان الناس عامة، وفي أذهان العلماء خاصة، أن ما يجزم به واحدٌ منهم ويرى أنه وحده الصواب في مسألة ما لا يجوز له أن يلزم به الناس؛ لأن غيره أيضاً قد يجزم بخلافه ويرى أنّ الصواب لا يعدوه، وهذه القاعدة قد قررها عدد من الأئمة الأجلة في القديم والحديث، ولكن - مع الأسف - لم تطبَّق في الواقع كما ينبغي أن تطبق. وحتى الذين قرروها غفلوا عنها في بعض الأحيان. ولا معصومَ إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. نسأل الله تعالى أن يجمع قلوبنا وإن اختلفت آراؤنا، ويوحّد جهودنا وإن اختلف اجتهادنا، ويحقق لنا وبنا نصر دينه وتحكيم شريعته ورفع رايته إذ كفانا ما ذقنا من الذل والقهر والظلم والهوان!.